من جفاف العقل ، وفى كفالة من صلابة المادة !

فاستغفر لى يا سيدى الرسول، إنى إنسان لا يرى بعينيه ولكنه يحس ببصيرته ... ولا ينطوى فى عقله ، ولكنه ينطوى معه فى حدسه ، ولا يتحجر مع المادة ولكنه يبلّها بعصارة من قلبه : يبعث فيها جانب الحياة ، ويثير منها معنى الوجود ، كما يبل الطبيب وجه المريض يدفع عنه غفلته ، ويصرف عنه إغماءته ...

ادع لى ... واستغفر لى ... فما أحوجنى يا سيدى يا رسول الله إلى الدعاء والاستغفار ... !

( القاهرة ) شكرى فيصل

صورة من عنت الجاهلية

# فرعـــون قريش

## للأستاذ كامل محمود حبيب

« أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى ، أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ، أرأيت إن كذب وتولى ، ألم يعلم بأن الله يرى ، كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ، سندع الزبانية ، كلا لا تطعه واسجد واقترب » ( قرآن كريم )

يا عجبا ! إن الإنسان ليخلو إلى نفسه أحياناً — فينتضى ما يراءى به الناس ، ويبدو عارياً عن كل شىء إلاّ ما اقترف من إثم أو ما اكتسب من خطيئة ؛ فيحاسبها وتحاسبه ، ويلومها وتؤنبه ، ثم يخرج من هذا العراك النفسانى وقد قاء وأناب ... أما الفاجر الفظ فلا يرتدع ولا يتصوّن ، لأن الشر يتدفق فى عروقه فيسيطر عليه فيسوّل له أشياء ليست هى من الإنسانية ولا من الضمير ولا من العقل ، ولأن الشيطان اتخذه ولياً فأضله عن سواء السبيل

* * *

الليل ساج ساكن والقمر يخفق فى السماء يشع نوراً جميلاً يجذب القلب ، والقوم مُنبثون فى أرجاء المكان بالعدوة القصوى ليلة سبع عشرة من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ؛ وهم فى حركة صامتة يتهيأون لأمر ذى بال قد شغلهم عن كل ما حولهم ، لا تسمع إلا صليل الحديد وحنين الإبل ، وإلاّ صهيل الخيل ونباح الكلاب ، وإلاّ همسات فئة يتشاورون فى أمر قد أهمهم ... هذا وفرعون قريش أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة جالس وحده فى ناحية وبين يديه درع له قد نثلها من جرابها فهو يَهْنئها . وعملت فى نفسه الخلوة حين أخذ الناس يتسللون إلى مضاجعهم ، فراحت خواطره تسبح بين ثنايا عمره الغابر . وأطرق فرعون قريش طويلاً فإذا آثامه وأوزاره منشورة أمام عينيه تسخر منه وتهزأ به ، وإذا غده الأسود يرنو إليه عابساً مكفهراً وهو لا يدرى ما وراء . إنه سيغدو على حرب حطبها رجال من قومه وعشيرته ، هم أترابه ورفقاء صباه ، وهم علية قومه وساداتهم . وتمثلت له أفكاره أشباحاً تضطرب فى الفضاء اللانهائى تحجب عنه نور القمر البهيج ، فانطوى يحدث نفسه حديث فلسفته الجديدة ، فلسفة الشك والحيرة ، قال :

« رُب يوم قضيت فى أمن ودعة ، ناعم البال مطمئن الخاطر ؛ فما لهذا القمر يبدو كاسفاً حزيناً ، وما لهذه الجبال تتراءى معفرة غبراء ، ومالى أحس كأن أنفاس الليل الهادئة تهب قاسية لتصدع صدرى فى غير رحمة ولا شفقة ! إن قلبى لتهده الوحشة وأنا بين أهلى . أفيكون هذا لأننى سأغدو على حرب قوم هم منى وأنا منهم ؟ لقد صبأوا واعتدوا فحق عليهم عقاب

« يا ويلى ! أحقاً ما جاء به محمد ؟

« تا الله إنه لأمر عظيم . لقد عرضنا عليه المال حتى يكون أكثرنا مالاً ، والشرف والملك حتى يكون سيدنا ومليكنا ، فأبى وتعفف وقال : ما بى ما تقولون ... فماذا بقى من عَرَض الدنيا يبتغيه ذو حاجة !

« وتسللت — مرة ومرة — فى خفية وحذر أتسمع ما يقول وأرى رأيى فيه — وعندى أنه كان بيننا غلاماً حدثاً غير منهم فى قول أو فعل ، فغير جدير به أن يتقوّل علينا بعض الأقاويل بعد إذ بدأ الشيب فى صدغيه — فألفيتُ كلاماً حلواً عذباً ليس بينه وبين قلب اللبيب من حجاب ، فصبوت إليه وهفوت نحوه ؛

غير أن عتباً أصابني فقلت للأخنس بن شريق حين سألني رأيي : ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ؛ أطعموا فطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ؛ حتى إذا تحاذينا على الركب ، وكنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه

« هذا هذا ، يا قلبي !

« وتأججت نار الحسد والبغضاء في قلبي ، فاندفعت أريد أن أقتله أو يقتله عصبة منا فما استطاع واحد أن يخلص إليه . يا لقلبي ، كيف حيل بيني وبينه ؟ لا ريب فهو قد سحرني أو أن خادماً من الجن أزعجني عنه

« كلا ، كلا ؛ فوالله ما هو بساحر !

« آه ؛ لطالما سكنت إلى نفسي فما وجدت إثماً قد اقترفه ، غير أن له رأياً هو جعلني أحمل له ضغناً ، فانطلقت أشتط في السخرية منه ، أسفّه من حلمه ، وأضع من شرفه ، وأعذّب صحابته ، وأفتنهم في دينهم ، لا أرعوي ولا أستقر ؛ ومضت الأيام وأنا أحتدم احتداماً لا تهدأ لي ثورة ولا ينطفئ غل

« ماذا عساه يبتغي ؟ لعمري إن أمر هذا الرجل لعجيب

« الله ! نعم ، الله ! »

* * *

وصمت الرجل برهة من زمان يتأمل ... ثم ثاب إلى نفسه يحدثها مرة أخرى :

« ثم ... ثم ما اللات والعزى ، وما مناة الثالثة الأخرى ؟ أفليست بعض هذه الصخور المنثورة حوالي عاثت بها يد إنسان فصورتها آلهة تعبد ؟ أحقاً أن الله يسكنها فيدبر الأمر من ورائها على حين هي ذرات في هذا العالم اللانهائي لا حول لها ولا طول ؟ يا لشد جهلي ! أأسجد وأقوم وأعبد وأقدم القرابين لمثل هذه الصخرة الواهية ؟ وما إساف ونائلة ؟ أفكانا غير رجل وامرأة أحدثا في الكعبة فمسخهما الله فاتخذناهما إلهين ؟

« ليت شعري أين العقل والحكمة ؟

« ليتني أستطيع أن أنزل عن كبريائي فأرجع بهذا الناس ، فما لي بقتله من أرب ، وأذر الرجل يناجي ربه ويعبده ويتهجد له ما شاء ، وينشر دينه أنى شاء وكيف شاء ! ليته يعبد آلهتنا فنعبد إلهه ، ونرجع سيرتنا الأولى قبل أن تستبطر عليه هذه الأخيلة ... ليتني وليته ... ولكن ؟

« ولكن أفنتظم تحت رايته وما هو بشيء ؟ فوالله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه فيكون له الشرف والملك علينا ، ونكون نحن في دولته كبعض أراذلنا

« آه ، لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ! »

وراح الرجل في ضمير الليل يحدث عقله حديث الفيلسوف قد ضربه الشك فلا يستطيع أن يرى الضلالة التي تردى فيها . وخشي الشيطان غب الأمر فصاح من أقصى الأفق صيحة صكت مسمعي الرجل فانتزعته من خواطره ، ودوّى صوت الشيطان يبدد أخيلته ويطم على ضميره وينادي بأن ستكون لكم الغلبة فأفق من غمرات الشك والتخاذل . غداً تهدأ الثائرة ، وينطوي تاريخ هذا الرجل ، وتكون أنت ... أنت يا أبا الحكم السيد المطاع .

وهب الرجل من مكانه يجر درعه ، في هدأة الليل ، صوب مضجعه وقد سكنت كل نأمة ... ذهب إلى مضجعه لينام فألفى الشيطان هناك ينتظره ليحدثه حديث الكفر والفسوق حتى مطلع الشمس

* * *

وفي الصباح دفعه الشيطان إلى الحومة ليلقى — أول ما يلقى — معاذ بن عمرو بن الجموح فضربه ضربة أطنّت قدمه بنصف ساقه فسقط رأس الكفر يتضرج في دمه ، ونظر فإذا الأرض من حوله خلاء إلا من الشيطان يعبث به ويسخر من آلهته ، ويقول له : إني بريء منك ومما تعبد من دون الله . وتدفقت الحسرات في قلب الفاسق تأكله فما أنقذه منها إلا عبد الله بن مسعود — رضي الله عنه — فاحتز رأسه وحملها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهوى فرعون قريش أبو جهل — لعنه الله — إلى مثوى الكافرين .. هوى إلى غضب الله يوم بدر ... يوم النصر ... يوم سطع أول شعاع أخاذ من نور النبوة على جزيرة العرب

( المحلة الكبرى الثانوية ) **أحمد محمود حبيب**

---

حكم في الجنحة المستأنفة رقم ٩٦٨٠ سنة ٩٤٠ ضد أحمد أمين حسن بمحال بدرب البوارين بتفرعه ١٠٠ قرش ونشر الحكم بمجلة الرسالة والثقافة ليعم ملماً بأزيد من التعيرة